هل يواجه لبنان مصير مصر في محادثاته مع «اسرائيل»؟

التكهنات المختلفة التي سبقت بدء المفاوضات الاسرائيلية ـــ اللبنانية ورافقتها لازالت تتفاعل وتتشعب رغم توصل المجتمعين في خلدة « وكريات شمونة» الى اتفاق حول جدول الاعمال وانتقالهم للبحث في بنوده وتشكيل اللجان المختلفة للبحث في هذه البنود .

تدور هذه التكهنات حول مستقبل المفاوضات الجارية بين لبنان واسرائيل وما اذا كانت ستنتهي الى ذات المصير الذي انتهت اليه المحادثات المصرية الاسرائيلية قبل سنوات ، وماهي عوامل الضعف والقوة في مواقف الجانبين اللبناني والاسرائيلي او اين يلتقي التكتيك الامريكي مع التكتيك الاسرائيلي واين يبتعد عنه ، وماهي عناصر التشابه والاختلاف بين مواقف امريكا واسرائيل في لبنان ومواقفها السابقة حيال مصر .

هذه الاسئلة والتساؤلات لازالت تبحث حائرة عن اجابات قاطعة ترسم صورة المستقبل وتحدد معالمه وافاقه .

واذا كان ليس بمقدور هذه المقالة ان تدعي تقديم الاجابة المطلوبة الا انها تحاول السير في هذا الاتجاه .

توازن القوى

قبل البدء بالحديث عن مستقبل العلاقات اللبنانية الاسرائيلية ، والمصير الذي ستنتهي اليه المفاوضات بين الجانبين لابد من التوقف امام عناصر القوة والضعف لدى كل منهما ، لمعرفة مدى انعكاس ذلك على مائدة المفاوضات ، ذلك اننا لن نات بجديد اذا ما قلنا ان مايجري في خلدة والخالصة ستتحدد نتائجه عاجلا ام اجلا وفق ميزان القوى القائم على الارض فليست المحادثات سوى صدى هذا التوازن وانعكاسه .

فالمفاوض الاسرائيلي يدخل الى قاعة المفاوضات في خلدة او الخالصة وترتسم في ذهنه عناصر القوة التي يمتلكها فهو اولا ممثل لدولة لازالت جيوشها تحاصر عاصمة « الدولة المعادية» وتحتل قرابة نصف اراضيها . مدعوما بغطاء امريكي متفهم من الناحية الرئيسية لاهدافه واطماعه رغم ما قد يبدو من اختلاف وتعارض في الرؤية الامريكية والاسرائيلية لحاضر الوضع اللبناني ومستقبله .

وهو كذلك يدرك عناصر الضعف لدى الجانب الاخر والتي هي في ذات الوقت عناصر قوة له وقد اختبرها جيدا اثناء غزوه للبنان وحصار لبيروت .

هذا التفوق الذي يميز الموقع التفاوضي للعدو الاسرائيلي لاتقلل من اهميته الحاسمة عناصر الضعف في الموقف الاسرائيلي وهي بالطبع ليست المقررة في تحديد هذ الموقف .

فهناك اولا ، المعارضة الاسرائيلية الداخلية المتسعة للغزو الاسرائيلي للبنان وتحديدا خروجه عن الحدود المرسومة « لسلامة الجليل» .

فاسرائيل تواجه للمرة الاولى حربا واسعة النطاق دون ان تتحقق الوحدة الوطنية بين الحكومة والمعارضة .

واسرائيل كذلك تواجه اكبر تظاهرة في تاريخها استنكارا للسياسات الليكودية .

هذه المعارضة لازالت تتفاعل رغم المكاسب التي حققها العدو .

وهناك ثانيا : الخلاف الامريكي ـــ الاسرائيلي وانعكاساته على طاولة المفاوضات .

صحيح ان الخلاف لايمس الاستراتيجية المشتركة للطرفين وانه يقتصر على بعض النواحي التكتيكية الا انه يلعب دورا في «تهذيب» الشهية العدوانية للكيان الصهيوني في لبنان .

وهناك ثالثا : تصاعد العمليات العسكرية للمقاومة الوطنية اللبنانية والتي تجعل الوجود الاسرائيلي في لبنان باهظ الثمن ، وهذا مايمكننا تلمسه بوضوح من خلال ابسط مراجعة لجدول العمليات العسكرية خلال الاشهر الاربعة الاولى التي اعقبت الاجتياح .

هذه باختصار عناصر ضعف الموقف الاسرائيلي ، وهي كما يتضح ليست حاسمة التاثير في الموقف الاسرائيلي والذي يبقى يستند الى عامل التفوق العسكري واحتلال جزء كبير من الارض اللبنانية .

اما الجانب اللبناني فيبدو ان اوراق قوته ليست كثيرة ، وهي لاتسم الموقف الموقف اللبناني بميسمها .

كذلك يبدو ان حالة الضعف الشديد الذي يتصف به موقف لبنان وانجرار السلطة الى الحظيرة الامريكية تحول دون استخراج لبنان لورقة عناصر الضعف لدى الجانب الاخر بل ان اوساط هذه السلطة تحاول اعاقة تصعيد العمل العسكري الشعبي ضد القوات الاسرائيلية في لبنان وهذا ما حدث اثناء عمليات التمشيط التي قامت بها السلطة للضاحية الجنوبية في بيروت بحثا عن منفذي عملية الحدث المعروفة .

اما بخصوص عناصر الضعف في الموقف اللبناني ، والتي تجعله مرشحا للوصول الى ذات النتيجة التي وصل اليها النظام المصري وربما الى ماهو اسواء من ذلك فهي كثيرة وخطيرة وتنذر بنتائج تهدد مستقبل لبنان في استقلاله وسيادته .

اولا : لبنان خاضع للاحتلال العسكري الاسرائيلي عاصمته محاصرة ومعزولة عن بقية ارجاء الموطن .

ثانيا : تمتلك اسرائيل في لبنان قاعدة داخلية لاحتلالها تتمثل في الكتائب والجبهة اللبنانية من جهة والشريط الحدودي المترتبط بها من جهة اخرى .

ثالثا : تمتلك اسرائيل في لبنان ورقة التناقضات الطائفية ، فهي تحرك الجبل والشوف في محاولة لتنفيذ مخططها التقسيمي للبنان واستخدام ورقة التعامل الطائفي للضغط على المفاوض اللبناني .

قد يعتقد البعض ان الانقسام الطائفي ورقة بيد لبنان اذ ان المسلمين اللبنانيين يرفضون ان تصل المحادثات مع اسرائيل الى معاهدة سلام لكن في ضوء ما اسفرت عنه معارك لبنان وفي ضوء تزايد تاثير القوى الاسلامية التقليدية المرتبطة بمراكز الرجعية في الوطن العربي ، يبدو ان ورقة التناقضات الطائفية هي سلاح في يد العدو وليست عامل قوة للبنان .

رابعا : ان لبنان في « مواجهته » للعدو الصهيوني يستند الى وضع عربي يتجه نحو القبول الجماعي بالتعايش مع العدو والاعتراف به وتطبيع العلاقات معه .

هذا ما حصل في فاس وهذا مايسعى اليه عرب امريكا الرجعيون في تحركاتهم واتصالاتهم الاخيرة .

فالوضع العربي المتردي اليوم يدفع لبنان نحو القبول بالشروط الاسرائيلية الامريكية رغم كل التحفظات التي تطلق من هذه العاصمة العربية او تلك .

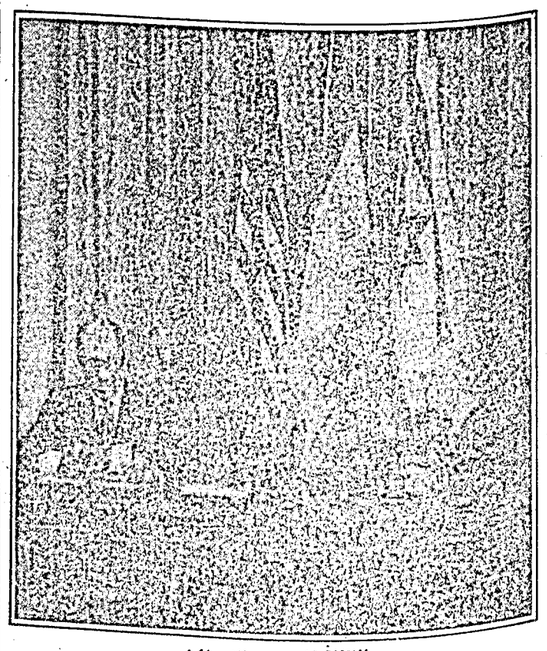

الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي

خامسا : ان اسرائيل ليست على عجلة من امرها في لبنان وهي تعلن جهارا لن تنسحب من لبنان الا بعد تحقيق مكتسبات سياسية واقتصادية تنسجم مع حجم الخسائر التي منيت بها في حربها الاخيرة في لبنان .

صحيح ان التكتيك الاسرائيلي هذا يتعارض مع رغبة الامريكان في تحقيق بعض الانسحابات السريعة من لبنان لكن الواضح من خلال تتبع سير المحادثات الاخيرة ان الغلبة كانت في معظم الاحيان لرغبة اسرائيل ومصالحها .

وهنا يبرز الفرق واضحا بين وضع مصر سابقا ووضع لبنان حاليا .

فاسرائيل كانت مهتمة باخراج مصر من دائرة الصراع العربي الاسرائيلي نظرا لما تمثله مصر من موقع وحجم وتاثير وهي لذلك كانت مستعدة للاستجابة لمطالب مصر بالانسحاب العاجل رغم كل ما رافق هذه العملية من شروط وتعقيدات اسرائيلية ورغم التنازلات المصرية غير المحدودة .

لكن يبدو ان احساس اسرائيل بهذه المسالة يختلف بالنسبة للبنان الذي لم يكن في اي يوم من الايام ضمن دائرة الصراع العربي الاسرائيلي ـــ نقصد لبنان الرسمي بالطبع ـــ وليس له ثقل يذكر في ميزان القوى القائم في المنطقة .

سادسا : يدرك لبنان ان استمرار الوجود الاسرائيلي على اراضيه لايهدد سيادته واستقلاله فحسب ، بل ويضع مصير اقتصاده وبنيانه في مهب الريح . فالتطبيع الجاري حاليا على الارض والغزو الاقتصادي الاسرائيلي المتواصل للبنان يهدد هيكليته الاقتصادية وينذر بانتهاء دوره العربي .

لكل هذه الاعتبارات : يصبح المسار المحتمل للمحادثات الاسرائيلية ستكون مماثلة لما اكدت اليه المحادثات المصرية الاسرائيلية ان لم تقل اسواء من ذلك بكثير .

ولكل هذه الاعتبارات كذلك يبدو الجانب اللبناني متجها نحو القبول بالشروط الاسرائيلية الامريكية صحيح ان ثمة عقبات كبرى تعترض هذا الطريق ومن ضمنها الوجود الفلسطيني السوري في البقاع والشمال لكن الصحيح كذلك ان نتائج حرب لبنان لازالت تتفاعل .

واشنطن وتل ابيب : تكتيكان والهدف واحد

ولعل من بين القضايا التي تثير التساؤل حول المفاوضات اللبنانية الاسرائيلية الحديث عن خلاف امريكي اسرائيلي حيث تتفاوت الاراء والتقديرات في هذا الصدد .

ونظرا لاهمية هذه المسالة او تحديدا بعد اتفاق الجانبين اللبناني والاسرائيلي على ضرورة ان تلعب واشنطن دور «الشريك الكامل » في هذه المحادثات فانه يبدو ضروريا فهم حدود هذه الخلافات ومساحتها .

فالجانب الامريكي يسعى لكي تتوصل المحادثات الى اتفاق سريع يقضي ببدء انسحاب القوات الاجنبية عن لبنان خلال اشهر او ربما خلال اسابيع قليلة .

وهو بذلك يستهدف اظهار نوع من المصداقية والجدية للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط عامة خصوصا وان **فرص نجاح مبادرة الرئيس ريغان تتوقف الى حد كبير على جدية الموقف الامريكي في لبنان ،** وقدرة واشنطن على ممارسة الضغط على اسرائيل لدفعها نحو الانسحاب .

لقد بد التكتيك الامريكي هذا واضحا بعد خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت حيث اعلن اكثر من مسؤول امريكي ان انسحاب القوات الاجنبية من لبنان سيتم قبل نهاية عام ١٩٨٢ وانه ينبغي ان تفصل ازمة لبنان عن ازمة المنطقة .

ورغم ان الادارة الامريكية عادت مؤخرا للحديث عن ترابط الازمتين وانعدام القدرة على الفصل بينها كما تراجعت عن تحديد موعد نهائي لانسحاب القوات الاجنبية من لبنان الا انها لازالت تؤكد وعلى لسان اركانها الكبار ان حل الازمة اللبنانية يوفر الاساس السليم لحل ازمة المنطقة وان الترابط بين الازمتين لايعني تاجيل البحث في حل احداهما حتى تحل الاخرى ، وانه يمكن البدء بحل الازمة اللبنانية وازمة المنطقة في الوقت ذاته .

ان هذا التغير في التكتيك الامريكي يعود لسببين اثنين :

اولهما : اصطدام التكتيك الامريكي بالتعنت الاسرائيلي ورفض حكومة الليكود الانسحاب السريع من لبنان .

ثانيهما : ان الادارة الامريكية تريد استغلال الجرح اللبناني المفتوح للضغط على القوى العربية المعارضة لمشروع رئيسها في المنطقة وتحديدا سوريا والثورة الفلسطينية .

اما بخصوص التكتيك الاسرائيلي فيلخص في السعي لانتزاع اقصى التنازلات من لبنان ثمنا للخسائر التي دفعها العدو خلال اجتياحه الاخير للاراضي اللبنانية .

وهذه التنازلات لاينبغي لها ان تكون دون التطبيع ومعاهدة السلام وان اختلفت التسميات .

لذلك فالانسحاب من وجهة النظر الاسرائيلية مؤجل ولاينبغي التسرع بتحقيقه قبل قبض الفاتورة كاملة .

من جهتها الادارة الامريكية تتفهم «شرعية» المطالب الاسرائيلية هذه لكنها تريد للبنان أن يضبط خطوات تنازلاته مع الايقاع الذي تسير عليه المنطقة العربية عموما ولاتريد للبنان ان يوضع في ذات الموقع الذي وضعت فيه مصر قبل اكثر من خمسة اعوام .

الا ان اسرائيل لايهمها المازق الذي سيصل اليه لبنان في علاقاته العربية بل هي تهدف الى دفعه نحو هذا المازق على امل الحصول على دوره الاقتصادي في المنطقة او بعض هذا الدور .

هذه هي حدود الخلاف الامريكي ـــ الاسرائيلي ومن هنا يسهل تفسير مايسمى بالضغوط الامريكية على اسرائيل والتي لاتتجاوز القضايا الشكلية كما يسهل تفسير الضغوط الامريكية على لبنان والتي تتعلق كما هو معروف بجوهر استقلاله وسيادته .

فالرغبة الامريكية في الحل السريع اللازمة اللبنانية تتحقق بممارسة الضغوط الفعلية على لبنان وليس على اسرائيل ، فهل سيواصل لبنان رهانه على الشريك الكامل؟ هذا ما يبدو واضحا حتى اليوم على الاقل .

عماد الرحايمة